أفراد الطبقة العاملة هناك، بدلاً من النظر إليها كنتيجة لسياسات الاتحاد الأوروبي الخاصّة باستغلال اليد العاملة الأجنبية. لم يرَ اليمين المتطرّف في سياسات الإدماج التي اعتمدتها حكومات كثيرة (أهمها ألمانيا) إبّان صعود موجة الهجرة سوى وسيلة لتمكين المهاجرين من فرص العمل التي «سُرقت من المقيمين»، وغضّ النظر تماماً عن استخدامها من جانب الحكومات لتحقيق فوائض أكبر في عملية الإنتاج، وخصوصاً في ألمانيا التي تضع الإدماج كشرط مسبق لانخراط المهاجرين في سوق العمل.

خاتمة

عدم رؤية هذا الجانب والاكتفاء بالتأويل الثقافوي لمسألة الهجرة فوّت على اليمين المتطرف فرصة الربط بين الجوانب المختلفة للأزمة، وأبقاه عند حدود المعارضة الشكلية للسياسات الأوروبية. وفي المرّات القليلة التي طرح فيها مسائل تمسّ صلب الأزمة كالاعتراض على اتفاقات التجارة الحرّة والمطالبة بفرض قيود على تدفّق الرساميل الخارجية لحماية الصناعة المحلّية كان يستعير خطاب اليسار، وهذا يعني افتقاره ليس فقط للرؤية والبرنامج بل للأدوات أيضاً. معارضة كهذه يمكنها الاستمرار لأعوام اعتماداً على موجة الكراهية للمهاجرين ولكنها لن تكون قادرة على قيادة اعتراض جدّي على السياسات الأوروبية. في أحسن الأحوال ستكون محطّة على طريق تطوُّر الاعتراض سلباً أو إيجاباً.

* كاتب سوري

بل على العكس، إن طينة الفخار محلية، وصانعوها أيضاً، رغم تأثرهم بصناعة الفخار المعروفة في الجزر الإيجية، وظهرت التأثيرات الكنعانية المحلية على مخلفات الفلسطينيين من خلال أسماء آلهتهم أمثال داجون وعشتروت، كذلك إن العمارة من مبانٍ عامة، ومنازل، مستمدة من التقليد المعماري للعصرين البرونزي الوسيط، والأخير، والحياة الدينية عند سكان الساحل الفلسطيني كنعانية الأصل، وكذلك المباني الدينية، وأهمها سلسلة المعابد المتعاقبة في تل القصيلة، التي أنشئت على غرار المعابد الكنعانية، مع ما يظهر عليها من تأثيرات مصرية وإيجية.

بذلك يصعب على الباحث التفريق بين ما يمكن نسبته إلى المجموعات البشرية التي سكنت فلسطين في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، فوجود هذا الصنف من الفخار، أو ذلك في منطقة معينة، لا يدل بالضرورة على سكنى هذه المنطقة من مجموعة إثنية مختلفة، ولكنها غالباً ما تعني أن هذه المنطقة وقعت تحت تأثيرات خارجية.

فبالنظر إلى أن السكان الأصليين لم يتغيروا كثيراً منذ العصر الحجري، وخلال فترة الألف السادس - الرابع قبل الميلاد، أصبحت فلسطين سامية (بمفهوم لغوي)، وخلال العصر البرونزي القديم، أقامت نمطاً استيطانياً واقتصادياً بقي من خصائص المنطقة حتى الحقبة الآشورية في الأقل.

بذلك، فالسمة الأهلية للسكان لم تعد موضع تساؤل الآن، وهذه السمة تظهر بوضوح في جذور الثقافة المادية في العصر البرونزي القديم، والظاهرة في الأواني، والأدوات، والبناء، وطقوس الدفن، وأنماط الاستيطان.

إذاً، الفلسطينيون مزيج عرقي له نواة قوية عريقة في القدم، وقد كان أجداد اللاجئين العرب الفلسطينيين الذين يحيون اليوم في الغربة حياة بائسة، يحرثون الحقول في فلسطين، قبل ثلاثة آلاف عام، ويبدو أنه مما يتصل بذلك، أن اللاجئين الفلسطينيين يكنون لوطنهم حباً لا يمكن تصوره أبداً، إنهم يثيرون انطباعاً مؤداه أنهم شعب يضرب بجذوره في الأرض، متعلقاً بكل بيت ريفي صغير، وبكل شجرة برتقال، وبكل حجر، فليس الفلسطينيون رعاة لا يعنيهم كثيراً أن يستقروا هنا تارة، وهناك تارة أخرى، ومع ذلك فأكثر العرب يكتفون في النزاع الفلسطيني بالإشارة إلى التراث التاريخي العربي - الإسلامي الذي دام ألفاً وثلاثمئة عام، وعلى أية حال فقد عُرِّبت فلسطين في وقت كانت فيه هجرات الشعوب تجري على قدم وساق، ولم تكشف أميركا إلا بعد ذلك بـ580 عاماً.

فيا له من حق من حقوق الملكية هذا الذي يجدّ المؤرخون الصهاينة اليوم سعياً وراء تحطيمه! حق احتفظ به بطريق بسيط دؤوب، منذ خرج الإنسان من غياهب المجهول، وربما كان أبسط، وأوضح حق من حقوق الملكية في العالم.

* كاتب وباحث فلسطيني

الوارد من بحر إيجه جزئي، وعلى أساس البينات المعروفة كان هامشياً، وسطحياً في اللغة، والديانة والأشياء المادية، حتى أقدم أشكال الفخاريات المدعوة فلسطينية - كانت ثقافة المنطقة الساحلية وطنية تماماً، يمكن القول إنها متأثرة بحضارة بحر إيجة ولكنها سامية تماماً، وذات طابع حضاري فلسطيني.

الحقيقة أن المخلفات الحضارية الفلسطينية في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد .بما في ذلك الساحل الفلسطيني .تُعَدّ استمراراً لحضارة العصر البرونزي الأخير، ومن أهم المكتشفات التي تنسب عادة إلى الفلسطينيين فخار ملون، بأشكال هندسية، وطيور، وتظهر أيضاً أشكال حلزونية، ومجموعات من أنصاف دوائر متشابكة، إنما أشكال الأواني نفسها، فمشابهة للأواني التي عثر عليها في جزيرتي رودس وقبرص، لكنها غير مطابقة لها، ومن الصعب عدُّها مستوردة،

ما لم يقله أسلاف، أنّ الكيان الصهيوني هو طفل لقيط ولد نتيجة العدوان

شذرات

عندما أحرق الأميركيون الكتب ومنعوا بيتهوفن وغوتي

زياد منى

عندما اجتمع قادة «الاستقلال» لتحديد هوية دولتهم الجديدة، تم التصويت على اللغة الرسمية، ففازت الإنجليزية بفارق صوت واحد عن الألمانية. فالألمانية كانت سائدة هناك لدرجة أن أول «كتاب مقدس» طبع عام 1743 كان بالألمانية. بل إن نيويورك كانت ثاني أكبر مدينة «ألمانية!» بعد العاصمة برلين.

الصحافة اليومية الناطقة بالألمانية في الولايات المتحدة وصل عدد نسخها المباعة في عام 1910 إلى أكثر من ثلاثة ملايين نسخة (لا يزيد عدد النسخ في أيامنا هذه إلى أكثر من سبعين ألفاً).

والألمان شكّلوا مجموعات كبيرة من المهاجرين إلى العالم الجديد في القرن التاسع عشر، ولم تخف الهجرة إلا بعدما تمكن بسمارك من توحيد البلاد ما نمّا الشعور القومي الألماني ترجم تمسكاً بالوطن.

المهاجرون الألمان إلى القارة الجديدة مارسوا أدواراً مهمة في تحويل تلك البلاد من مزرعة متخلفة إلى بلاد صناعية، ومنهم من صار قادة سياسيين ومفكرين منهم الرئيس هربرت هوفر الذي كان اسمه هوبر/huber وركفلر والجنرال برشنغ الذي كان يكتب اسمه بالصيغة الألمانية (persching)، وصانع أداة البيانو شتاينواي الذي كان اسمه شتاينفيغ/steinweg والناشر يُزف بُلِتْسَر، وغيرهم كثيرون.

الألمان، مثل بقية الجماعات الإثنية المهاجرة كانت لهم وجود بارز في كافة الميادين الثقافية والاجتماعية والصناعية والمالية، ما انعكس في كثرة المدن الأميركية التي كانت تحمل أسماء المدن أو البلدات الأم ومنها ثماني باسم بريمن وإحدى عشرة باسم دريسدن واثنتين وعشرين باسم هانوفر ووجد الاسم هامبورغ في اثنتين وعشرين ولاية.

لكن عندما ننظر إلى الخريطة الإثنية الأميركية الآن فبالكاد يعثر المرء على تلك الجالية [!]، مع أن أعداد الألمان هناك وأولئك الذين يتحدرون من أصول ألمانية يبلغ حالياً نحو خمسين مليون نسمة.

سبب هذا التلاشي يعود إلى حالة الهوس الجماعي التي اجتاحت الولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الأولى حيث بدأت حملة شعبوية مدعومة من الدولة والسياسيين ومن يقف وراءهم من وسائل التضليل ومنها «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» ومجلة «لايف»، هدفها القضاء على كل ما يمت إلى ألمانيا والألمان بصلة حيث عد كل فرد منهم جاسوساً، مذنباً حتى وإن ثبتت براءته.

لعل بعضنا يذكر الآن المدى الذي ذهب إليه الكونغرس في التعبير عن امتعاضه من موقف فرنسا الرافض لغزو الولايات المتحدة للعراق عندما فرض تغيير اسم البطاطا المقلية (french fried) في المطعم الخاص به إلى freedom fried. كثر رأوا في ذلك صبيانية و«هبل»، ولديهم الحق. لكن بالعودة إلى تاريخ الولايات المتحدة القريب، إبان الحرب العالمية الأولى، نجد أنه لم يكن الأول، ولا يبدو أنه الأخير حيث الهوس المعادي للعرب والمسلمين يجتاح تلك البلاد، وكل ذلك بفضل الزعامات الشعبوية ومن يدعمها في مختلف وسائط الإعلام.

هوس الأميركيين، شعباً وحكومة، بمحاربة كل ما يمت إلى ألمانيا بصلة، اندلع بعد صدور «قانون التجسس والتحريض/espionage and sedition act» عام 1917 وقانون التحريض عام 1918. القانونان طالا كل من وقف معادياً للحرب هناك، حتى لو كان أميركي أنجلو - سكسوني. القانونان منحا أي أميركي سلطة القبض على أي شخص يظهر تعاطفاً مع ألمانيا، أو أي مشاعر معادية للحلفاء، والهدف خنق حرية الرأي حيث قال أحد المشرعين: «إن لم يمكن بإمكانك القتال هناك، فبإمكانك عمل ذلك هنا».

القانونان منعا أي قول أو كتابة يمكن تأويلها على أنها تحد، مباشرة أو على نحو غير مباشر، من الجهد العسكري ما أدى إلى طرد الآلاف من وظائفهم واعتقال آلاف أخرى والقتل العشوائي في الشوارع والتشهير.

فصدرت قوانين تمنع التدريس باللغة الألمانية أو حتى الحديث بها، حتى وإن كان بالهاتف، كما منعت الصلاة في الكنائس باللغة الألمانية ومنعت الموسيقى الألمانية، وكل من خالف ذلك كان يتعرض للمحاكمة بتهمة الخيانة. وفي أيار عام 1918 أصدر حاكم ولاية أيوا قانوناً يمنع استعمال اللغات الأجنبية، والهدف كان منع التداول باللغة الألمانية التي كانت سائدة هناك.

كما عملت الغوغاء على حرق الكتب الألمانية ونوطات الموسيقي بيتهوفن وباخ وموسارت في الميادين العامة ومنع تداولها أو إذاعتها، ومنعت الفرق الموسيقية الألمانية من إقامة أي حفلات، وفي بعض الأحيان أحرقت أدواتها الموسيقية. كما تم طرد الألمان من الفرق التمثيلية والموسيقية ومن كافة الروابط، وأعيد تسمية كل ما له صلة بالألمانية حتى المقابر... في عربدة عصبية جنونية.

الدولة الأميركية من ناحيتها عملت على جمع مواطنيها الألمان في معسكرات اعتقال، كما فعلت مع مواطنيها اليابانيين والذي أشرنا إليه من قبل.

الحملة لم تقتصر على الاعتقال الجماعي بل تعدتها لتضم عمليات القتل العشوائية (lynching) وامتهان كرامة الأحياء عبر صبغ أجسادهم العارية بالقار الحار، ومن ثم لصق ريش الطيور بهم واستعراضهم في شوارع المدن والبلدات وحاراتها، وهو ما شجعت عليه الصحافة القومية والمحلية.

المصادر تؤكد أن بريطانيا لم تكن بعيدة عن التحريض على الألمان، شعباً وثقافة، في واشنطن. هذا عرض مختصر لحفلات العربدة الجنونية، المدعومة من البيت الأبيض، التي اندلعت في الولايات المتحدة، وفي ظني، على كل من يبحث في علاقاتنا بالغرب دراسته لفهم نفسيته، علماً بأننا أشرنا من قبل إلى حفلات جنون مشابهة (انظر أيضاً عرضنا مؤلف «أنموذج هتلر الأميركي: الولايات المتحدة وصناعة القانون النازي العنصري» الذي سيصدر في ملحق كلمات يوم السبت 8 تموز).